إتقان العمل ميدان من ميادين الجهاد

العمل في الإسلام ميدان كبير من ميادين الجهاد ذلكم لأن كلمة الجهاد تعني بذل الجهد والعمل يقوم على بذل العامل لجهده بالعرق والكدح من أجل أن يحقق هدفا في حياته يسعده ويسعد من يعونهم ويسعد الوطن الذي هو فرد من أفراده ولبنة في بنائه ومن هنا أوجب الإسلام على المسلمين ان يضربوا في الارض ويسعوا في جوانبها قال الله تعالى: (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)

وحس المسلمين على السعي في الأرض ابتغاء الرزق بعد فراغهم مما افترضه الله عليهم من صلاة الجمعة فقال سبحانه وتعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)

بل قدم القرآن الكريم السعي في الأرض ابتغاء الرزق على الجهاد في سبيل الله وبين أنه سبب من الأسباب التي من أجلها خفف الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين أمر التهجد وقيام الليل فقال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لم تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه)

إن العمل في الإسلام ركيزة أساس من ركائز بناء أي مجتمع إنساني ويعد وسيلة من الوسائل التي تحقق نهضة هذا المجتمع وتبني حضارته ومن ثم فإن العامله أجره عظيم ومنزلته عالية وبين الله تبارك وتعالى أنه لا يضيع أجر العاملين خاصة من جود عمله وأتقنه فقال سبحانه وتعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) والنبي صلى الله عليه وسلم بين في الحديث الصحيح أن إتقان العمل أمر يحبه الله تبارك وتعالى ويتقبله من صاحبه فقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم دلالة على تحقق حب الله تبارك وتعالى للعامل الذي يجود عمله ويحسن القيام به ويتقن الأمر فيه إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه والقرآن الكريم فيه آية من آياته يبين أن عمل العاملين يرى لله ورسوله وللمؤمنين ومن هنا أتى الأمر بالعمل وأوجب على العاملين أن يخلصوا في عملهم لأنهم في مراقبة ربهم لأنهم في مراقبة رسولهم صلى الله عليه وسلم لأنهم بإخلاصهم في العمل تظهر ثمار عملهم للمجتمع الذي يعيشون فيه فيحكم المجتمع على عملهم بالجودة والإتقان والإحسان قال الله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) بل بينت الآية الكريمة أن مرجع العاملين إلى الله تبارك وتعالى وأنهم سيعودون إليه وأنه سيجزي المحسن لعمله على إحسانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

إن إتقان العمل ميدان كبير من ميادين الجهاد وهو ضرب من الجهاد الذي يتقبله الله تبارك وتعالى من العاملين وفي الحديث أن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب ثم يبيع خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا دلالة على أن العمل يحافظ على كرامة صاحبه لانه يوفر له الحياة الكريمة يوفر له ما يحتاجه بيته وما يحتاجه من يعولهم في هذا البيت يوفر له الكرامة الإنسانية فيغنيه عن

سؤال الناس وكما جاء في الحديث المسألة تأتي خدوشاً في وجه صاحبها يوم القيامة يعني هؤلاء الذين يعترضون طرق الناس ويسألونهم هؤلاء مسألتهم تأتي ظاهرة في وجوههم يوم القيامة يعرفهم الناس بها أما الذي يستعفف مهما اشتدت به الفاقة فإنه إنسان يحفظ كرامته ويصون نفسه عن الهوان وذل السؤال وهؤلاء مدحهم القرآن بقوله: (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافا) .

لقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أجر العاملين الذين يبذلون جهدهم في سبيل توفير ما يحتاجونه وما يحتاجه من يعولونهم فقال صلى الله عليه وسلم: (من بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له)

بل وصل الأمر بتقدير العامل في الإسلام بأن يده التي اخشوشنت من المسحاة هي يد يحبها الله ورسوله كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وصحابه النبي صلى الله عليه وسلم ضربوا على المثل في المحافظة على كرامتهم والعمل والجد فيه وإتقانهم لما يقومون به من عمل ولا أدل على ذلك من صنيع المهاجرين حينما قدموا المدينة بعد الهجرة وأراد الأنصار أن يقاسموهم الدور والثمر دون أن يبذلوا جهداً فلم يرتضي ذلك المهاجرون بل قالوا لإخوانهم الأنصار بارك الله لكم في دوركم وأموالكم وأهليكم دلونا على السوق فعملوا بالتجارة وربحوا وكثرت أموالهم بسبب سعيهم وكسبهم الحلال .

إن إتقان العمل من الإسلام وتجويده وتحسينه أمر يأجر عليه العامل فحري بالشباب أن يبحثوا عن فرص العمل وأن يضربوا في الأرض وأن يسخروا طاقات شبابهم كي يشاركوا في بناءٍ إقتصادي قوي يمثل لهم ملكية خاصة وألا يكونوا طاقة معطلة تبقى عالة تنتظر أن تمطر السماء ذهباً أو تخرج لهم الأرض فضة بل عليهم أن يسعوا ويبحثوا والله تبارك وتعالى سييسر لهم ما يحقق لهم الإستغناء عن الناس وليعلموا أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اللقمة يرفعه الرجل إلي فيّ امرأته من كسبه الطيب يكون له بها أجر وأن الله سائلٌ كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع كما ثبت ذلك كله من هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

ولنأخذ نموذجاً آخر لعناية شباب الصحابة في الحفاظ على كرامتهم والعمل من أجل تحصيل الكسب الحلال هذا النموذج يتمثل في صهر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما كان يعمل ليوفر قوت أهله ويحمل الحجارة على كتفه وهو يقول:

لحمل الصخر من قمم الجبال ... أحب إلي من منن الرجال

يقول الناس لي في الكسب عارٌ ... فقلت العار في ذل السؤال

إن حضارات الأمم ونهضة الأوطان لا تبنى بسواعد عاطلة أو أيدي غير متقنة لعملها إنما تبنى بأيدي عامله وسواعد متقنة ونفوس مخلصة .

وقبل ذلك فإن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام لم يعيشوا عالة على أحد من الخلق بل عرفوا ميادين العمل وطرق الكسب الحلال فضربوا في الأرض كلٌ على حسب ما يسر الله له فمنهم من عمل حداداً كنبي الله داوود كما قال الله تعالى: (فعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)

ومنهم من كان نجاراً كنبي الله نوح عليه السلام كما قال الله تعالى له: (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظملوا إنهم مغرقون ويصنع الفلك)

وكان نبي الله موسى عليه السلام راعياً للغنم كما أخبر القرآن الكريم عنه حينما قال له ربه: (وما تلك بيمينك يا موسى قال هيا عصاي اتوكأ عليها وأهش بها على غنمي وليا فيها مأراب أخرى)

وعمل نبينا صلى الله عليه وسلم بالتجارة حتى عرف بين أهل مكة بالصادق الأمين.

ففي عمل هؤلاء قدوة للشباب كي يتأسوا برسل الله عليهم الصلاة والسلام .

أيها الشباب شمروا عن ساعد الجد واعملوا في شتى الميادين وحققوا لأمتكم الفرض الكفائي في كل تخصص يحتاج إليه الوطن كالطب والهندسه والفلك والزراعة والتجارة وغير ذلك من سائر الصناعات التي ترتكز عليها مقومات إقتصاد المجتمع.

فمتى عرف أفراد المجتمع ما يجب عليهم من العمل وإتقانه وتجويده حققوا للوطن الذي يعيشون فيه كل وجوه الخير وعم الرخاء وقوي الإقتصاد وأصبح الوطن وطناً منتجاً يصدر ما زاد عن حاجاته إلى غيره فتنظر إليه الشعوب نظرة إحترام وتقدير والله ولي التوفيق .

أ.د/ عبدالفتاح عبدالغني العواري

العميد الأسبق لكلية أصول الدين – جامعة الأزهر بالقاهرة

ورئيس مركز الفكر الأشعري بالأزهر الشريف